الفَصْل الرَّابِعُ

الـزِّفَـافُ

(١)

مَقْطُوعةٌ لِعَدِيِّ بنِ الرِّقاعِ

١ ــ كانت أمُّ حكيمٍ بنتُ يحيى بنِ الحَكَمِ بنِ أبي العاصِ بنِ أُميَّةَ بن عبدِ شَمْسٍ تحتَ عبد العزيز بن الوليد بنِ عبدِ المَلكِ، تَزَوَّجها في حياةِ جَدِّه عبد الملك. ولَمَّا عُقِدَ النِّكاحُ بينهما عُقِدَ في مجلس عبدِ الملكِ، وأمَرَ بإدخالِ الشعراءِ لِيُهَنِّئُوهُ بالعَقْدِ، ويَقُولوا في ذلك أشعاراً كثيرةً يَرْويها الناسُ. فاخْتِيرَ منهم جَريرٌ وعَدِيُّ بنُ الرِّقاعِ، فَدَخَلا، وبَدَأ عَدِيٌّ لِمَوْضِعِهِ منهم، فقال:

الأغاني ١٦: ٢٧٦

وثمار القلوب ص: ٢٩٩

وربيع الأبرار ٤: ٢٨٨

وديوان عدي بن الرقاع العاملي ص: ٢٥٧

١ - قَمَرُ الزَّمانِ وشَمْسُها اجْتَمَعَا ... بالسَّعْدِ ما غَابَا وَما طَلَعَا

٢ - ما وَارَتِ الأسْتَارُ مِثْلَهُما ... مَنْ ذا رَأَى هذا ومَنْ سَمِعا

٣ - دامَ السُّرورُ لَه بِها ولَها ... وتَهَنَّيا طُولَ الحياةِ مَعَا

---

١ ــ اجْتَمعا: اقْتَرنا. والسَّعْد: اليُمْنُ والبركة. وما غابا: أي: ما احْتَجَبَا واخْتَفَيا. وما طَلَعا: أي: ما ظَهَرَا وبَرَزَا. وما: مَصْدريَّة.

٢ ــ وَارَتْ: سَتَرَتْ وأكَنَّتْ. والأسْتار: جمع سِتْرٍ، وهو الحجاب والغطاء.

٣ ــ تَهنَّيا: أصْلُه الهَمْزُ، أي: تَهَنَّئا، وهو دُعاءٌ لهما بأن تكون حياتُهما هَنِيئةً، أي: رَخِيَّةً رَضِيَّةً.

(٢)
مَقْطوعةٌ لجريرِ بنِ عَطِيَّةَ

١ ــ قالَ جريرُ بنُ عَطِيَّةَ في عَقْدِ النِّكاح بينَ أمِّ حكيمٍ وعبدِ العزيز بنِ الوليدِ بنِ عبدِ المَلكِ:

الأغاني ١٦: ٢٧٧
وديوان جرير ٢: ١٠٣٥

١ - جَمعَ الأميرُ إليهِ أكْرَمَ حُرَّةٍ ... في كُلِّ ما حالٍ من الأحْوالِ
٢ - حَكَميَّةٌ عَلَتِ الرَّوابيَ كُلَّها ... بمَفَاخِرِ الأعْمامِ والأخْوالِ
٣ - وإذا النِّساءُ تَفاخَرَتْ بِبُعُولةٍ ... فَخَرَتْهُمُ بالسَّيِّدِ المِفْضَالِ
٤ - عبدَ العزيزِ ومَنْ يُكَلِّفْ نَفْسَهُ ... أخْلاقَهُ يَلْبَثْ بأكْسَفِ حَالِ
٥ - هَنَّأتُكُمْ بمَوَدَّةٍ ونَصِيحةٍ ... وصَدقْتُ في نَفْسي لكمْ ومَقَالي
٦ - فَلْتَهْنِكَ النَّعَمُ التي خُوِّلْتَها ... يا خَيْرَ مَأْمُولٍ وأفْضَلَ وَالِ

---

١ ــ جمع إليه المرأة: اقْتَرَن بها. وأكرم: أشرف وأعْرَق. والحُرَّة: العربية الخالصة، وهي نقيض الأمة.

٢ ــ حكميَّة: نسبة إلى جدها الحَكَم بن أبي العاص. وعَلَت: عَلَبَتْ وفَضَلَتْ وفَاقَتْ. والرَّوابي: جمع راسية، وهي ما ارتفع من الأرض. والمفاخر: جمع مَفْخرة، وهي المأثرة والمَكْرُمة.

٣ ــ تفاخرت: فَخَرت إحْداهُنَّ الأخرى. والبُعُولة: جمع بَعْل، وهو الزوج، والهاء فيه لتأنيث الجمع. وفَخَرْتُهُمْ: أي: فَخَرتْ بُعُولَتَهُنَّ، يقال: فَاخَرَهُ ففَخَرَه، أي: كان أفْخَرَ منه وأكْرَمَ أباً وأُمًّا. وسَيِّد المرأة: زَوْجها. ورجل مِفْضالٌ: أي: كثير الفَضْلِ والخَيْرِ والمَعْرُوف. أراد أنَّ زَوْجَها خير من أزواج غيرها من النساء.

٤ ــ كَلَّف نفسه الأمر: جَشَّمها إياه، أي: حَمَلَها فوقَ طاقتها. والأخلاق: جمع خُلُق، وهو الطَّبْعُ والسَّجيَّةُ. ولَبِثَ: مكثَ وأقام. ويقال: رجلٌ كاسفُ البال: أي: سيِّئُ الحال. ورجلٌ كاسِفٌ: أي: مَهْمُومٌ قد تَغَيَّر لونُهُ وهَزُل من الحُزْن.

٥ ــ هَنَّأه: قال له: هَنيئاً. والمَوَدَّة: المَحَبَّة. والنَّصيحة: إرادةُ الخَيْرِ للمَنْصُوحِ له. وصَدقْتُ في نفسي: أي: في نِيَّتي وضميري. والمقال: القول.

٦ ــ يقال: هَنَّأه بالأمرِ والولاية وهَنَّأه بالتشديد، أي: قال له: لِيَهْنِئْكَ. والعَرَبُ تقول: لِيَهْنِئْكَ الفارسُ بجزم الهمزة، ولِيَهْنِيكَ الفارس بياء ساكنة، ولا يجوز لِيَهْنِكَ كما تقول العَامَّة. وهو دعاءٌ له بأن يكون زواجُهُ هنيئاً، أي: سعيداً رغيداً. والنِّعَمُ: جمع نِعْمة. أراد قرينته أم حكيم. وخَوَّلَهُ الشيءَ: أعْطَاهُ إياه ومَلَّكَهُ. والمأمُول: المنظور الذي يُتَوقَّعُ خيرُهُ ويُرْجَى فَضْلُهُ. وأفضل: أمْثَل وأصلح. والوالي: الأمير.

(٣)
قَصِيدةٌ لابنِ قَيْس الرُّقَيَّات

١ ــ قال عُبَيْدُ اللهِ بنُ قَيْس الرُّقَيَّات حينَ تَزوَّجَ مُصْعَب بنُ الزُّبيْرِ سُكَيْنَةَ بنت الحسينِ ابنِ عَليٍّ، ورَحَلَ بها إلى العراقِ *:

ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص: ٣١

١ – ظَعَنَ الأميـــرُ باحْسَـــنِ الخَلْـــقِ وغَـــدا بِلُبِّـــكَ مَطْلـــعَ الشَّـــرْقِ
٢ – مَرَّتْ علـــى قَـــرْنٍ يُقَـــادُ بهـــا جَمَـــلٌ أمـــامَ بَـــــرازِقٍ زُرْقِ
٣ – وبَدَتْ لنا مـــن تَحْـــتِ كِلَّتِـــها كالشَّـــمْسِ أو كَغَمَامـــــةِ الـــبَرْقِ

---

* ويقال: قالها الحارث بن خالدٍ المخزومي حين تَزَوَّج مصعبُ بنُ الزبير عائشةَ بنت طلحة ابن عبيد الله التَّيْمي، وخرج بها إلى العراق. (انظـر كتـاب المردفـات من قريـش ص: ٦٥، والأغاني ٣: ٣١٩).

١ ــ ظعن: ذهب وسار، أي: ارْتَحَل وتَحَوَّل. وغدا: سارَ أول النهار. واللُّـب: العَقْـل. ومَطْلَعُ الشمس بالفتح: هو طُلُوعها، أي: المَصْدَر. والمَطْلِع بالكسر: هو الموضع الذي تَطْلُعُ منـه. ومَطْلِعَ الشرق: أي: العراق، وهو منصوبٌ على نَزْع الخافض، وتقديره إلى مَطْلِعِ الشرق.

٢ ــ مَرَّ على المكان وبه: اجتازه وقطعه. وقَرْن: موضع من طريق مكة على مرحلتين مـن طريق اليمن، ومنه إحرامهم. ويقال له: قَرْنُ المنازل، وهو ميقات أهل اليمن والطائف، أي: منـه إحرامهم. والبَرازيق: الجماعات من الناس، وقيل: هم الفرسان، واحدهم برْزِيق، وهو فارسـيٌّ مُعَرَّب، وقد تحذف الياء في الجمع. وزُرْق: بيضٌ من كثرة ما عليهم من الحديد، أي: السـلاح، وقيل: أعداء.

٣ ــ بدت: ظهرت. والكلة: السِّـتْر الرقيق يُخاط كالبيتُ يُتَوقَّى فيـه مـن البعـوض. والغمامة: السحابة. وغمامة البَرْق: أراد سحابةً بارقةً، أي: ذات بَرْقٍ، والبارقة: السحابة يكـونُ فيها بَرْقٌ.

٤ – مـا صَبَّحـتْ بَعْـلاً بِرُؤْيتِـهـا ... إلاَّ غَـدا بِكَواكِـبِ الطَّلْـقِ

٥ – في البيتِ ذي الحَسَبِ الرَّفيـعِ ومِـنْ ... أهـلِ التُّقَـى والـبِرِّ والصِّـدْقِ

٦ – قُرشِـيَّةٌ عَبِـقَ العَبِـيرُ بِهـا ... عَبَـقَ العَبِـيرِ بِعاجِـةِ الحُـقِّ

٧ – شَـبَّ البيـاضُ أمـامَ صُفْرَتِهـا ... في رِقَّـةِ الدِّيبـاجِ والعِتْـقِ

٨ – فَظَلِلْـتُ كـالمَقْمُورِ خِلْعَتُـهُ ... هـذا الجُنُـونُ وليـسَ بالعِشْـقِ

٩ – وتَنُـوءُ فَتُثْقِلُـها عَجِيزَتُـها ... نَـهْضَ الضَّعِـيفِ يَنُـوءُ بالوَسْـقِ

---

٤ ــ صَبَّحهُ: قال له: عِمْ صباحاً. والبَعْل: الـزوج. يقال: يـوم طَلْقٌ، أي: مُشْرِقٌ لا بردَ فيه ولا حَرَّ ولا شيء يؤذي، ويقال أيضاً: ليلة طَلْقٌ وليلة طَلْقَةٌ. يريد أنه مَنْ تُصَبِّحُهُ برُؤْيتها يرى الزَّمان صافياً طيباً سعيداً تَفاؤلاً بطَلْعَتِها.

٥ ــ البيت من بيوت العرب: الذي يَضُمُّ شَرَفَ القبيلة، وبيتُ العرب: شَرفها. وأراد ببيتها شرفَها العالي. والحَسَب: الشرف الثابت في الآباء، وهو ما يَعُدُّه الإنسان من مفاخر آبائه مثـل الشجاعةِ والجودِ وحُسْنِ الخُلقِ والوفاء. والرفيع: السَّنِي العالي. والتقى: حَذَرُ الله ومخافة عقابـه. والبِرُّ: الخير والصلاح. والصِّدق: الوفاء.

٦ ــ عَبِقَ العبيرُ بها: لَصِقَ بها ولزمها فلم يفارقها، يقال: رجلٌ عَبِقٌ، وامرأةٌ عبقة، إذا تَطيَّب وتَعلَّق به الطيب فلا يَذْهَبُ عنه ريحُهُ. وبعاجة الحُقِّ: هذا من المقلوب، يريد بِحُقِّ العاج، وهـو الوعاء المَنْحُوتُ المُسوَّى من العاج. وعَبَقُ العبير بحقِّ العاج: أي: لُصُوقُه به وبقاؤه فيه.

٧ ــ شبَّ البياض: حَسُنَ وعلا كشبوب النار، وهو اتِّقادها. والرِّقة: النُّعومة. و الديبـاج: نوع من الحرير. والعِتْق: الجمال. وامرأةٌ عتيقة: جميلة كريمة. يعني أن الثياب والحُليَّ يَشُبُّ لونهـا ويُحَسِّنه. ويُرْوى: « شبَّ البياضُ لها بصفرتها ».أي: نَصَعَ البياض وخالطته الصُّفرة.

٨ ــ المقمـور: الذي خَسِرَ في القمار. والخِلعـة: خيار المال. والعِشْـقُ: شـدة الحـب وفَرْط الهوى.

٩ ــ تنوء: تَنْهض متثاقلةً. والمرأةُ تَنُوءُ بها عَجيزَتُها: أي تُثْقِلُها، وهي تَنُوءُ بِعَجيزتهـا: أي تَنْهَضُ بها مُثْقَلَةً. وأثقله الحِمل: ثقل عليـه. والعجيزة: المـؤخَّرة، وهي الكفل والرِّدف. ونَهْضَ الضعيف: قيامـه. والوَسْق: ستـون صاعاً، أو حِمْلَ بعيرٍ. يعـني أنها ضخمة العجيزة.

(٤)
مَقْطُوعَتانِ للوليدِ بنِ يزيدَ

١ ــ قالَ الوليدُ بنُ يزيدَ بنِ عبدِ المَلكِ في سَلْمَى بنتِ سَعِيدِ بنِ خالدِ بنِ عمرِو بنِ عُثْمانَ بنِ عَفّانَ، لَيْلَةَ زُفَّتْ إليه *:

أنساب الأشراف ٩: ١٥٠
والأغاني ٧: ٣٠
وديوان الوليد بن يزيد ص: ٧١

١ - خَفَّ مِنْ دَارِ جِيرَتِي ... يا خَلِيلَيَّ أنْسُها
٢ - أفَلاَ تَخْرُجُ العَرُو ... سُ فقد طَالَ حَبْسُها
٣ - قد دَنَا الصُّبْحُ أو بَدَا ... وهي لم يُقْضَ لُبْسُها
٤ - خَرَجَتْ كالمَهاةِ في ... لَيْلَةٍ غابَ نَحْسُها
٥ - بينَ خَمْسٍ كَواعِبٍ ... أكْرَمُ الجِنْسِ جِنْسُها

---

* قال أبو الفرج: « وهي طويلة، وفيها مما يُغَنَّى به »، ثم أورد الأبيات. (الأغاني ٧: ٣٠).

١ــ خَفَّ: أسْرَع، من الخفوف، وهو سُرْعةُ السير. والجار: الذي يجاورك، أي: يُسَاكِنك، والجمع جيرة وجيران. والإنس بكسر الهمزة: النَّفْس. ويقال: هذا حِدْثِي وإنْسِي وخِلْصِي وجِلْسِي، كله بالكسر. ويقال: أنست به إنْساً، بكسر الهمزة، ولا يقال: أُنْساً بضمها، إنما الأُنْسُ حديث النِّساء ومُؤانَستُهنَّ.

٢ ــ تخرج: تَظْهر. والحَبْسُ: الإمساك والمَنْع.

٣ ــ دَنا: قَرُبَ. وبَدا: بَزَغ وابتدأ في الطلوع. ولم يُقْضَ لُبْسُهَا: أي: لم يُدْخَلْ بها، يقال: لَبِسْتُ امرأةً، أي: تمتَّعْتُ بها. والعربُ تسمِّي المرأةَ لِباساً. وفي التنزيل العزيز: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾. [البقرة: ١٨٧]. أي: مثل اللباس. وقيل: كل فريق منكم يَسْكُنُ إلى صاحبه ويُلابِسُهُ. (اللسان: لبس).

٤ ــ المهاة: الشمس. والنَّحْس: الشُّؤم. والنَّحْسُ خلاف السَّعْدِ من النجوم.

٥ ــ الكواعب: جمع كاعب، وهي التي نَهَدَ ثَدْيُها. وأكرم: أشْرَفُ وأعْرق. والجنس: الضَّرْبُ.

٢ ــ وقالَ الوليد بن يزيدَ بن عبدِ المَلكِ في سَلْمَى بنتِ سعيدِ بنِ خالدِ بنِ عمرِو بن عُثمانَ بنِ عَفّانَ، لَمّا خَطَبَها إلى أبيها وزُفّتْ إليه:

أنساب الأشراف ٩: ١٤١

والعقد ٤: ٤٥٤

وديوان الوليد بن يزيد ص: ١٤١

١ – أنـــا في يُمْنَـــى يَدَيْـــهَا وهـــيَ في يُسْـــرَى يَدَيَّـــهْ

٢ – إنَّ هـــذَا لَقَضَـــاءٌ غَـــيْرُ عَـــدْلٍ يـــا أُخَيَّـــهْ

٣ – ليـــتَ مَـــنْ لامَ مُحِبًّـــا في الهَـــوَى لاقَـــي مَنِيَّـــهْ

٤ – فاسْـــتَراحَ النَّـــاسُ منـــهُ ميتَـــةً غَـــيرَ سَـــوِيَّهْ

---

١ ــ يعني أنَّ كلاً منهما خَاصَرَ الآخر، أي: وَضَعَ يَدَهُ على خَصْرِه.

٣ ــ لامَ: عَذَل. والهَوَى: الحُبُّ والعِشْق. ولاقَى: صادَفَ. والمنية: الموت.

٤ ــ أراحَ الرَّجُلُ واستَراح: أي: رَجَعَتْ إليه نَفْسُهُ بعد الإعياء. وأراد تَخَلَّصُوا من شَـــرِّه وأذاه. والسَّوية: العَدْل والنَّصفَة. ويقال: هما على سَوِيَّة من الأمر، أي: على سَواءٍ، أي: اسْـتِواءٍ. وأراد ميتة شَاذَّةً شنيعةً منكرة.